موروث العمارة السكنية بالجزيرة العربية ودوره في عمارة الدور السكنية بفسطاط مصر

د. جمال عبد الرحيم إبراهيم حسن•

عمارة المنزل أو الدار الإسلامي بالجزيرة العربية ومصر في عصورها المبكرة، تناولته كثير من الدراسات المتخصصة[١]، إلا أن هذه الدراسة ستقوم بتوضيح وإبراز أهم العناصر المعمارية والفنية المكونة لبعض منازل الجزيرة العربية ومقارنتها بمثيلتها بتلك الموجودة في فسطاط مصر، وإظهار الموروث المعماري فيها وفق الظروف المحيطة بها والتي من أهمها التأثيرات الدينية والاجتماعية والإقتصادية والطبيعية.

• أستاذ مساعد– بقسم الآثار الاسلاميه –كليه الاثار –جامعه القاهره.

١ من الدراسات التي تناولت المسكن في الجزيرة العربية :

– مندلي، مصلي شاكر، التعرف على النمط العمراني في المملكة العربية السعودية، الإقليم الأوسط، لندن، ١٩٨٤م؛ الصالح، ناصر عبدالله، المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٤م، الراشد؛ سعد بن عبدالعزيز، الربذة صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٥م؛ سعيد، سلوى أحمد، الإسكان والمسكن والبيئة، جدة، ١٩٨٦م؛ الريحاوي، عبدالقادر، العمارة في الحضارة الإسلامية، جدة، ١٩٩٠م؛ الجوهر، أسامة، نماذج من مباني مكة المكرمة التقليدية، مكة المكرمة، ١٩٩١م؛ خان، سلطان محمود، منازل جدة القديمة، دراسة في العمارة الوطنية لمدينة جدة القديمة، الرياض، ١٩٩٠م؛ حريري، مجدي محمد، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، مكة المكرمة، ١٩٩١م، الحواس، فهد بن صالح بن سليمان، عمارة المنزل بمنطقة حائل، الرياض؛٢٠٠٢م؛

- Talib, Kaizer, Shelter in Saudi Arabia, Academy Editions, London, 1984

ومن الدراسات التي تناولت مدينة الفسطاط،،

– بهجت، علي وألبير، جبريل، حفريات الفسطاط، ترجمة علي بهجت ومحمود عكوش، القاهرة، ١٩٢٨؛ شافعي،فريد،العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة، القاهرة،١٩٧٠م؛محمد، سعاد ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور،جدة،١٩٨٥م،محمد،رفعت موسى، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، القاهرة،١٩٩٣،عثمان، محمدعبدالستار،موسوعة العمارة الفاطمية،الكتاب الأول:العمارة الفاطمية،القاهرة،٢٠٠٦؛

- Revault ,J., Maury, B., Palais et Maisons du Caire du XIV au XVIII Siecle, Le Caire, I.F.A.o., 1975-1979.

إضافة إلى بعض الرسائل العلمية مثل:

– الجنيدي،مصطفي محمد جاب الله،البيت الإسلامي في العصور الإسلامية المختلفة وأثره على العمارة المعاصرة في مصر،مخطوط رسالة دكتوراه،كلية الهندسة،جامعة القاهرة،١٩٧٦م؛كامل، عباس حلمي،تطور المسكن المصري الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني،مخطوط رسالة دكتوراه،كلية الآداب،جامعة القاهرة،١٩٦٨م.

فمنذ فجر التاريخ اختصت أراضي الجزيرة العربية بموقع جغرافي وسيط بين مراكز الحضارات على مر العصور(شكل ١)،مما أدى إلى اتصال السكان الأصليين بالحضارات المجاورة، وانعكس ذلك على النمط المعماري لمساكنهم شرقاً وغرباً وجنوباً، مما يبين اتجاهات التبادل الحضاري مع العالم الخارجي ونخص من أقطار هذا العالم مصر.

ومن خلال أعمال المسح الآثاري الذي قامت به وكالة الآثار والمتاحف السعودية[٢]، تم كشف النقاب عن كثير من تلك المنشآت السكنية وغيرها. والتي أقيمت منذ القرون الثلاثة الأولي من الهجرة النبوية الشريفة، ومنها أيضاً يرجع إلى القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين[٣]. حيث كانت بعض أراضي الجزيرة العربية مرتبطة بمراكز الحكم الأموي والعباسي والفاطمي لفترة طويلة، مما أدى إلى أن هذه المنشآت السكنية أخذت وتأثرت بعضها البعض بالطابع المعماري لهذه الدول.

لقد ركز المعمار في الجزيرة العربية ومصر على وحدة الإطار العام التي تربط المنازل بعضها ببعض على أساس وجود عناصر معمارية وفنية ثابتة كالمداخل والمقاعد وحجرات المعيشة والأفنية والمنافع، وتبين بأن بعض هذه المنازل في أول الأمر كانت تتكون من طابق أرضي، ثم بدأت تتعدد الطوابق فيما بعد، إلا أن النوافذ في الطوابق العليا كانت صغيرة، وحافتها السفلية مرتفعة عن أرضية الطابق بأكثر من مترين حتى لايتمكن طوال القامة من أن يطلوا على جيرانهم[٤]، وهذا يدل على أن بناء هذه المنازل أو الدور كان يخضع لقيود وشروط يفرض على الناس احترامها، منذ اللحظات الأولى من العصر الإسلامي.

إن تصميم المنازل على أساس ماسبق ذكره، وبقاياها الموجودة الآن خاصة المصرية في مدينة الفسطاط يمكن القول بأنها كانت تخضع لقيود وشروط إسلامية صريحة أتى بها الفتح الإسلامي لمصر، وأن من بين البنائيين في جند عمرو بن العاص من قبائل عربية من الحجاز واليمن والعراق والشام ومن قبائل قريش وثقيف ولحم، وأن الاستقرار بمصر دفعهم إلى تعمير المدينة[٥].

---

[٢] الغزي، عبد العزيز بن سعود،أعمال وكالة الآثار والمتاحف السعودية الميدانية في منطقة الرياض١٣٩٥-١٤٢٨هـ/١٩٧٥-٢٠٠٧م:
- دراسة نقدية،دراسات أثرية،الكتاب الثاني،جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار، الرياض،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م،ص ص١-٥٨.

[٣] الحلوة، صلاح وماكنزي ، نبيل ، برنامج توثيق معالم الطريق الإسلامي الشهير درب زبيدة ، أطلال ، العدد الرابع ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ص ٣٥-٦٢ .

[٤] شافعي، العمارة العربية،ص ٣٥٤.

[٥] البلاذري،أبو الحسن،فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، القاهرة ، ١٩٥٩، ص ١١٩ .

لقد كان العامل الاقتصادي أهم العوامل التي دفعت المسلمين بالجزيرة العربية إلى التوجه لفتح الأقطار المجاورة ومنها مصر، والاستقرار فيها، وذلك أن أغلب جند الفتح، كانت تتألف من عشائر البدو وجموع القبائل مثلما سبق ذكره، تلك المجتمعات التي تضررت –في تلك الفترة– من الجفاف ونقص المراعي وهلاك المواشي وندرة المياه. وقد استمرت تلك الأحوال الاقتصادية الصعبة في القرون الإسلامية التالية، فحل القحط، واشتدت المجاعة، وهبت العواصف الترابية، وهذا ما أضطر سكان البادية إلى اللجوء إلى حياة المدينة والاشتراك في جند الفتوحات، وسارع الناس إلى تلك الفتوحات بين مستحب وطامع في الغنيمة[٦].

ومما يلاحظ أن هذا الدافع الاقتصادي المتمثل في الحاجة إلى البحث عن مصادر رزق، إثر تزايد السكان في الأقطار المفتوحة ومنها مدينة الفسطاط. وواكب هذا الدافع دستوراً وضعه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإنشاء المدينة وزعه على الفاتحين وقائدهم –عمرو بن العاص– يتم بمقتضاه أن يكون محور أو مركز المدينة المسجد، بحيث يتفرع الشوارع حوله، وأن تتكون المناهج (خطة أو طريق) أربعين ذراعاً، ومايليها ثلاثين، ومابين ذلك عشرين، والأزقة سبعة أذرع والقطائع ستين[٧].

واستمر هذا الدستور يطبق في المجتمعات العمرانية فيما بعد في الجزيرة العربية وخارجها إحتراماً وتنفيذاً للتقاليد الإسلامية في بناء المسكن الإسلامي، ومن أهم المناطق العمرانية بالجزيرة العربية التي ستركز عليها الدراسة ومقارنتها بمساكن مدينة الفسطاط، الربذة وحائل وبعض مناطق نجد وفيد (شكل ١) وذلك للأهمية الحضارية والفنية لهذه المناطق والدور الذي لعبته في قيام الحضارات الإسلامية المبكرة بالمملكة العربية السعودية ووقوع البعض منها على طرق الحج المختلفة.

الربـــــذة :

تقع منطقة الربذة على بعد ٢٠٠ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة، غربي منطقة القصيم وعلى حافة جبال الحجاز الغربية (شكل ٢) ، وقد أطلقت المصادر الإسلامية عليها "حمى الربذة" وهو الاسم القديم لها، لأن الخليفة عمر بن الخطاب حماها بسبب الغطاء النباتي الصالح للرعي[٨].

---

[٦] ابن الأثير، أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، القاهرة، ١٣٤٩هـ، الجزء الثاني ص ٢٢٩.

[٧] عبد الوهاب، حسن، تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، محلية المجمع العلمي المصري، المجلد ٣٧، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٥٤–١٩٥٥م، ص ٥.

[٨] السمهوري، نور الدين على بن أحمد المصري، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولي ، الجزء الثالث ، القاهرة١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ص ١٠٨٢؛ ابن بلهيد،محمد بن عبد الله ، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، الطبعة الثانية ، الجزء الثالث،الرياض ،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ١٧.

ومن خلال المسح الآثاري والدراسات الاستطلاعية لهذه المنطقة تبين أن الموقع، يمتد لمسافة تصل إلى حوالي ٨٥٠ متراً من الشرق إلى الغرب وحوالي ٥٠٠ متراً من الشمال إلى الجنوب[٩]، وتظهر على سطح الموقع تلول أثرية ذات إرتفاعات متفاوتة وتبدو عليها الإمتدادات الجدارية للمنشآت المتنوعة ومنها السكنية التي كانت عامرة بها الربذة.

وتكمن أهمية الربذة كمدينة إسلامية كانت على درجة كبيرة من الأهمية في القرون الإسلامية الأولى، في أنها كانت من أهم محطات طريق الحج العراقي الممتد بين الكوفة ومكة المكرمة والمشهور بدرب زبيدة ابنه الخليفة أبو جعفر وزوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد (توفى سنة١٩٣ هـ / ٨٠٩ م)[١٠]. فما من قافلة تقصد مكة لغرض الحج أو غيره إلا ويكون طريقها مدينة الربذة سواء في الذهاب أو في الإياب.

ويبدو أن الربذة وبعد مضي ما يقارب ثلاثة قرون من ازدهارها وهي القرون الأولى من الهجرة النبوية المشرفة، أصابها ما أصاب طريق الحج ومحطاته من الخراب والدمار بعد الفوضى السياسية التي ترتب عليها خروج بعض القبائل العربية الغازية، نتيجة لضعف الأمن في سلطة الخلافة العباسية في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[١١]، ثم أنتهت كمدينة بعد تخريبها على يد القرامطة سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م وهجرها من كان بها من السكان لدرجة أن أحد الجغرافيين المسلمين الذين زاروها وشاهدها في هذه الفترة قال أنها ماء زعاق وموقع خراب، ولم يعد لها منذ هذا التاريخ أي ذكر في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين[١٢].

المنشآت السكنية بالربذة:

دلت المسوحات الأثرية التي قامت بها وكالة الآثار والمتاحف السعودية، وبشكل مكثف منذ أن بدأت أعمال الحفر الأثري في عام ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م [١٣]، بكشف النقاب عن بعض المواقع السكنية لهذه المنطقة ومنها:

* الموقع (أ) والذي يعتبر من أهم المناطق الرئيسية السكنية بمنطقة الربذة، ويمثل حصناً أو نموذجاً لبيت أو قصر إسلامي محصن (شكل ٣)، حيث يحاط بسور حجري يصل سمكه حوالي ١،٣٠م، على هيئة مستطيل غير منتظم، مبني هذا السور بحجارة مشذبة، وتبلغ أطوال أضلاعه، الشمالي وهو الرئيسي حوالي ١٩

---

[٩] الراشد، الربذة،ص٤٧.

[١٠] الراشد،سعد بن عبد العزيز، درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة،الطبعة الأولى، الرياض،١٤١٤هـ،ص ٣٥.

[١١] الراشد ، الربذة ، ص ٣٩.

[١٢] المقدسي ، شمس الدين عبدالله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن،١٩٠٦م، ص ١٠٨.

[١٣] الحلوة وآخرون،أطلال،العدد الثالث،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،الطبعة الثانية،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،ص٦٠.

متراً، والجنوبي حوالي ١٦،٢٠ متراً، والشرقي حوالي ٢١ متراً، أما الجدار الغربي فيصل طوله حوالي ١٩ متراً.

ويعد الجدار الشمالي لهذا السور هو الرئيسي،حيث فتح في منتصفه تقريباً المدخل الرئيسي،وهو على هيئة بارزة عن سمت الجدار وعلى شكل برجين نصف دائريين، ودعمت بقية الجدران الثلاثة الأخرى للمبني بأبراج على هيئة ¾ دائرة وهي تلك الموجودة بالنواصي،إضافة إلى أبراج نصف دائرية بمنتصف جدرانها.

يفضي المدخل الرئيسي إلى ممر مستطيل ومنه إلى صحن(فناء)القصر،الذي يشرف عليه ثلاثة عشر غرفة موزعة على امتدادات القصر الداخلية، ويصل متوسط مساحة الغرفة الواحدة ٢،٣٠×٢،٣٠ متر تقريباً[١٤].ويعتقد بأنه كان يوجد بمنتصف هذا الصحن فوارة إلا أنها مندثرة الآن، ولم يتبق منها سوى بقايا معمارية.

وللقصر برج للحماية والدفاع عنه يقع بالركن الشمالي الغربي منه ويتكون معمارياً من مساحة سداسية الأضلاع أطوالها غير منتظمة، وهو في حالة يرثى لها.

ومن خلال المسوحات الآثارية التي أجريت داخل القصر، تم العثور على خزانات (صهاريج) أرضية لحفظ المياه، وموزعة إلى مساحات متفاوته، إضافة إلى مستودعات صغيرة لحفظ الحبوب وأفران للطبخ، وأفران لصهر الزجاج .

* الموقع (ب) وهو أقل مكانة من الموقع السابق، لأنه يقع في أطراف المنطقة الشمالية لموقع الربذة، وهو عن وحدة سكنية، متسعة المساحة، ولها سبعة جدران مختلفة الأبعاد سمكها حوالي مترين. يدعم جدرانه أبراج ¾ دائرة تشغل الأركان وأخرى نصف دائرة بمنتصف جدارها. ويقع المدخل الرئيسي للبيت بالجدار الشمالي الغربي، وهو على هيئة بروز مستطيل، يفضي هذا المدخل إلى ساحة مستطيلة ومنها إلى صحن البيت، الذي يشرف عليه غرف ذات أحجام مختلفة، تفتح أبوابها على هذا الصحن، وزودت كل غرفة بخزائن صغيرة لحفظ الأمتعة والحبوب، وخلف هذه الحجرات يوجد مرافق أخرى خاصة لمستلزمات أغراض من بداخل هذا البيت، حيث تم العثور على أحجار الرحي المخصصة لطحن الحبوب، كما عثر على أماكن صهاريج أرضية لحفظ المياه. كما دلت الكشوفات الآثارية، وجود زخارف من الجص (النورة) وزخارف جدارية ملونة غير متقنة[١٥] (شكل ٤) .

* الموقع (د) يختلف هذا الموقع من حيث منشآته السكنية عن الموقعين السابقين، فهو لا يضم وحدة سكنية (قصر) بعينها، وأنما يضم مجموعة متراصة من

---

[١٤] الراشد ، الربذة ، ص ١١٤.

[١٥] كنودستاد ، جيمس، مشروع درب زبيدة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى لمسح درب زبيدة، أطلال ، العدد الأول ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٤٨.

الوحدات السكانية تجمع بين المساكن والأسواق، والذي يبرر على وجودها بهذا الشكل المعماري، وجود عشرات من خزانات المياه (صهاريج أرضية) المسقوفة داخل الغرف السكانية، إضافة إلى وجود بعض من الأفران الفخارية المخصصة لتحضير الطعام، مما يؤكد أنها كانت مخصصة للبيع في الأسواق[١٦].

والآثار المتبقية من هذا الموقع عبارة عن جدران لأساسات الغرف، والتي تختلف عن بعضها البعض من حيث المساحة، ولعل متوسط مساحات الغرف يصل إلى ٣×٢ متر تقريباً، إضافة إلى بقايا مباني لخزانات أرضية للمياه. وهذه الأساسات بنيت من الحجارة يعلوها الطوب اللبن (لوحة ١) .

* الموقع(هـ)ويضم هذا الموقع مبنى سكني محاط بسور حجري سميك يصل اتساعه حوالي٢متر وبطول١٢×١٢ متر،ومنتصف هذا الموقع يوجد وحدة سكانية وسطى(شكل ٥)مدعمة بصور خارجي محصن وأربعة أبراج على هيئة¾ دائرة في الأركان الأربعة.ولهذه الوحدة مدخل رئيسي بمنتصف السور الشمالي الشرقي،يفضي إلى ردهة مستطيلة، ومنها إلى صحن أوسط مكشوف يشرف عليه مجموعة من الغرف السكانية،المزودة كل واحدة منها من الداخل بخزائن صغيرة لحفظ الأطعمة وغيرها.وعثر داخل هذا الصحن على صهاريج أرضية للمياه وأفران للطبخ[١٧](لوحة٢)ويعتقد بوجود فوارة بمنتصف هذا الصحن.

والجدير بالذكر بأنه كان يوجد مسجد رئيسي لمدينة الربذة يقع في المنطقة السكنية الغربية بالقرب من المقبرة (شكل ٦) وهو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل مبنية جدارها من الأحجار المختلفة الأحجام، المقطوعة من الجبال المجاورة. يتوسطه صحن أوسط مكشوف يحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة والتي تتكون من بائكتين، أما الظلات الثلاثة الأخرى فكل واحدة تتكون من بائكة واحدة[١٨]. وفرشت أرضية المسجد بالحصى الصغير، وأن هذا التخطيط البسيط وأرضيته المفروشة بهذا الشكل ماهي إلا سمة من سمات المساجد المبكرة في الإسلام أسوة بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مثل ما كان موجود من مسجد عمرو بن العاص بمصر، ومسجد الكوفة بالعراق، ومسجد مدينة صنعاء[١٩].

---

[١٦] الراشد ، الربذة ، ص ٥٤.
[١٧] الراشد، الربذة، ص ٢٥.
[١٨] الراشد، الربذة، ص ٤٦.
[١٩] الأنصاري، عبد القدوس، آثار المدينة المنورة، الرياض، ١٩٧٣م، ص ١٠٤.

حـــائـــل:

تقع منطقة حائل في شمال غرب المملكة العربية السعودية في منطقة جبل شمر غربي وادي الأديرع(وادي حائل)،وتبعد عن المدينة المنورة٤٥٠كيلومتراً[٢٠](شكل ٧).

ومن خلال المسح الآثاري والدراسات الحديثة لهذه المنطقة[٢١]، تبين أن حائل لعبت دوراً هاماً في التاريخ التجاري للجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام. فقد كانت ممراً خاصاً وطريقاً تجارياً رئيسياً يربط جنوب الجزيرة العربية وشمالها[٢٢]. واستمر هذا الطريق يربط حائل بصلات قوية، خاصة مع العراق وبلاد فارس والمدينة المنورة ومكة المكرمة من خلال الحجاج القادمين إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

كما لعبت منطقة حائل دوراً بارزاً في التاريخ السياسي للجزيرة العربية، حيث سكنها قبيلة طيء قبل الإسلام والتي كانت تسكن الجوف من أرض اليمن، وكانت الوثنية ديانة هذه القبيلة[٢٣]، ثم أسلمت هذه القبيلة في السنة التاسعة للهجرة[٢٤]، وخلال العصرين الأموي والعباسي كان للمنطقة دوراً هاماً في مرور الجيوش الإسلامية الفاتحة، كما أزداد دورها التجاري بسبب الدروب القديمة التي تسلكها قوافل التجارة والحجاج والتي من أهمها درب زبيدة[٢٥].

ثم تعرضت المنطقة لموجة من الاضطرابات السياسية من خلال وضع أمني سيء غير مستقر بسبب كثرة الحروب والغزوات، والذي أثر بلا شكل سلباً على حياة السكان الإقتصادية والاجتماعية والأمنية والمعمارية والفنية، حتى دخلت حائل في عهد جديد تميز بالأمن والاستقرار منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري بعد سقوطها على يد المغفور له الملك عبد العزيز[٢٦].

---

[٢٠] الجاسر، حمد، إمارة حائل، مجلة العرب، الجزء الثالث عشر، السنة السادسة، الرياض، جمـــادى الآخر١٣٩٢هـــ، ص ٩١٥ ؛ الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ويوسف ، فرج الله أحمد، حائـــل ديرة حاتم، الرياض ١٤٢٦، ص١١.

[٢١] آدامز، روبرت وآخرون، الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية ١٣٩٦هـــ/١٩٧٦م، تقرير مبدئي عـــن المرحلـــة الأولـــى مـــن برنـــامج المـــسح الأثـــري الـــشامل، أطـــلال، العـــدد الأول،١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م، ص ٣٨، بار، بيتر وآخرون، التقرير المبدئي عن المرحلـــة الثانيـــة لمسح المنطقة الشمالية،١٣٩٧هـــــ/١٩٧٧م،أطلال، العدد الثاني،١٣٩٨هـــــ/١٩٨٧م،الطبعـــة الثانية ١٤١٨هـــ/١٩٩٨م،ص٥٥؛الحواس،فهد بن صالح بن ســـليمان،عمارة المنـــزل بمنطقـــة حائل، الرياض، ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٣م.

[٢٢] الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر بيروت،جـــ٤، ص ٢٨٢.

[٢٣] ابن الأثير،الكامل في التاريخ، الجزء الأول،ص ٢٠٥.

[٢٤] ابن الأثير،الكامل في التاريخ، الجزء الثاني، ص ٢٣٤.

[٢٥] الحواس، عمارة المنزل بمنطقة حائل، ص ٣٤.

[٢٦] الريحاني ، أمين، تاريخ نجد الحديث، بيروت، ١٩٨٨، ص ص ١١٦-١٤٧.

المنشآت السكنية بحائل:

تميزت المنازل بمنطقة حائل بالبساطة بسبب إنشغال سكانها بتأمين حياتهم ومعيشتهم أمام تلك الظروف السياسية السيئة التي سبق ذكرها، كما أخذت بعض البيوت الطابع التحصيني من خلال وجود بعض العناصر الدفاعية والتحصينية مثل الأسوار التي تحيط بالوحدات السكنية والأبراج وغيرها.

ومن خلال مشاهدات الرحالة والجغرافيين المسلمين والغربيين أمكن التعرف على معلومات قيمة تخص نواحي متفرقة عن منطقة حائل، خاصة في بساطة المنشآت السكنية وطابعها المحلي، وما تحويه من عناصر معمارية وزخرفية هامة، وتعد دراسات هؤلاء التاريخية والجغرافية، ومذكراتهم اليومية، ومشاهداتهم الميدانية، وما احتوت عليه من مخططات وخرائط ورسوم توضيحية مصادر ومراجع علمية رافدة يفيد منها الباحثون في مجالي التاريخ والآثار.

ومن أشهر الجغرافيين المسلمين الذين زاروا وكتبوا عن منطقة حائل، الحربي (توفى سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)[٢٧] ، والحموي (توفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)[٢٨] ، والفيروز آبادى (توفى سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م)[٢٩].

ومن الرحالة ابن جبير في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وابن بطوطة في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[٣٠].

ومن أشهر الرحالة الغربيون الذين زاروا حائل، الرحالة الفنلندي جورج أغسطس فالين (عبد الولي)، والذي وصف شوارع حائل بأنها عريضة ومريحة، وأحصى عدد منازلها في يومه ب٢١٠ منزل و٢١٠ عائلة، كما تحدث عن بساطة المساكن في طرق بنائها وذكر أنها كانت تبنى من الطوب اللبن (الطين) ويستعمل فيها جذوع النخل أو الأثل في الأبواب والأسقف، وأن غرفها قليلة ولكنها فسيحة ومريحة لا يدخلها النور إلا من الباب ومن كوات صغيرة في الجدران تحت السقف مباشرة، وأكثر البيوت تتكون من طابقين[٣١]. والجدير بالذكر أن هذا الرحالة هو أول رحالة غربي يتمكن من دخول الجزيرة العربية، وأسلم ومات على دين الإسلام وتسمى باسم عبد الولي، وزار الجزيرة مرتين الأولى سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م والثانية سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٨م[٣٢].

---

[٢٧] الحربي، أبو إسحاق إبراهيم، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،ص ص ١٤٤-١٥٦.

[٢٨] الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني، ص ٢١٠.

[٢٩] الفيروز آبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الثانية،بيروت ١٤٠٧هـ، ص١٢٧٩.

[٣٠] السعيد،سعيد بن فايز وآخرون، آثار منطقة حائل، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية،الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م،ص ٥٢.

[٣١] فالين ، جورج أغسطس(عبد الولي)، صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة سمير سليم شلبي،بيروت،١٩٩١م، ص ٩٨.

[٣٢] السعيد،آثار منطقة حائل، ص ٥٦.

ومن الرحالة أيضاً الذين قاموا بوصف منازل منطقة حائل، الرحالة البريطانية آن بلنت، والتي زارت المنطقة بصحبة زوجها ويلفرد سكاون سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م. حيث ذكرت أحد المنازل بأن مدخله منكسر مظلم على غرار المداخل العسكرية(الدفاعية)، ويفضي هذا المدخل إلى ساحة كبيرة ثم حجرة الاستقبال الأنيقة والمتسعة، والتي تضاء من خلال كوات مربعة تحت السقف مباشرة[٣٣].

وعلى الرغم من أن هذه المعلومات أخذت من مشاهدات هؤلاء الرحالة وخاصة (الأخريان) للمنازل في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، إلا أنه من المرجح ومن خلال المسح الآثاري والذي سبق ذكره أن هذه المنازل ماهي إلا استمرار للتقاليد المعمارية والمحلية الموروثة التي كانت بالمنطقة منذ القرون الأولى من الإسلام وأثر الفقة الإسلامي في تصميم وتوظيف عناصرها المعمارية[٣٤].

*هناك نماذج سكنية في منطقة حائل ترجع إلى بدايات العصور الإسلامية، تلاشى معظمها الآن نتيجة التوسع العمراني الحديث للمدين، إضافة إلى ضعف مادتها المعمارية التي شيدت منها. ومن خلال البقايا الأثرية (لوحة ٣) لهذه البيوت، يتضح أنها كانت تتكون من طابقين، ولها واجهات خارجية خالية من الفتحات يصل ارتفاعها من ٥-٦ متر تقريباً، وبنيت هذه الواجهات من الطوب اللبن المخلوط بالتبن، و يوجد المدخل الرئيسي في الجهة الجنوبية، بالإضافة إلى مدخل فرعي يقع في طرف الواجهة الشمالية[٣٥].

يفضي المدخل الرئيسي إلى ممر مستطيل ومنه إلى صحن البيت أو الدار وهو أوسط مكشوف تحيط بأضلاعه الأربع، أربع سقائف (شكل ٨) ترتكز على أعمدة حجرية مستديرة، ويشرف على هذه السقائف من الداخل، أبواب غير محورية تؤدي إلى حجرات الطابق الأول للمنزل. وتستمد هذه الحجرات الإضاءة والتهوية من الصحن الكبير الأوسط المكشوف.

أما الباب الفرعي الشمالي فهو مخصص لدخول النساء ويفضي إلى دهليز صغير ثم صحن صغير مكشوف يشرف عليه حجرات، الجنوبية منها استغلت كمخزن للحبوب، ومطابخ ومراحيض.

*وهناك نماذج سكنية بالمنطقة، تتكون من طابقين أيضاً، يتوسطها فناء أوسط واحد مكشوف وسقيفتين (شكل ٩)، وتتميز هذه النماذج بوجود فناء(صحن) أوسط مكشوف يدخل إليه من مدخل رئيسيمن الواجهة إلى دهليز منكسر، ثم فناء مستطيل ثم إلى داخل الصحن، ويشرف على الصحن حجرات المعيشة أو قاعات

[٣٣] بلنت، الليدي آن، رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة محمد أنعم غالب، الرياض، ١٤١٠هـ، ص ص ١٦٢،٢٠١.

[٣٤] العمير، عبدالله بن إبراهيم، العمارة التقليدية في نجد، دراسات آثارية رقم(٤)، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٢٥.

[٣٥] الحواس، عمارة المنزل بمنطقة حائل، ص ١١٨.

الإستقبال، التي يتقدمها سقيفة محمولة على أعمدة، كما يتفرع من السقيفة حجرات صغيرة تشرف على صحن صغير، وهذه الحجرات عبارة عن ملاحق المنزل كالمطبخ والمراحيض وحجرات التخزين أو حظائر الحيوانات[٣٦].

*وهناك بالمنطقة نموذج لمنزل أو دار يتكون من فناء أوسط (صحن) مكشوف وسقيفة واحدة (شكل١٠) والمدخل الرئيسي يقع في الطرف الأيسر من الواجهة الشمالية، ويفضي هذا المدخل إلى ممر طويل مستطيل ثم ينكسر يميناً (مدخل منكسر) إلى الفناء (الصحن) الأوسط المكشوف الذي يشرف عليه سقيفة واحدة مقامة على أربعة أعمدة من الحجر. بداخل هذه السقيفة حجرات المعيشة بالجهة الشمالية، بجوار هذه الحجرات يوجد حجرات أخرى صغيرة كانت تستخدم كمخازن للأطعمة والأعلاف وحاجيات من بداخل البيت.

وللبيت ملاحق أخرى موزعة بالجهات الأخرى منه، مثل المجالس المخصصة للجلوس خاصة للرجال والتي دائماً ماتقع في الطرف الجنوبي الشرقي من البيت.

ولمنطقة حائل مسجد جامع يعرف بالجامع الكبير ، تجددت معالمه التاريخية والآثارية الآن[٣٧].

فـــيد:

تعد مدينة فيد من أهم المناطق التاريخية الإسلامية المبكرة بالمملكة العربية السعودية، وتقع وسط الجزيرة العربية، جنوب شرق منطقة حائل، والتي تبعد عنها بحوالي ١١٠ كيلومتر[٣٨].

وتكمن الأهمية التاريخية لهذه المدينة خاصة في القرون الأولى الإسلامية، في وقوعها على منتصف طريق الحج، الواصل بين الكوفة ومكة المكرمة، والمعروف باسم درب زبيدة[٣٩](شكل ٢) .

ومن خلال المسح الآثاري والدراسات الحديثة لهذه المدينة[٤٠]، تبين أنها تعود إلى عصور ماقبل الإسلام، ثم ذاع صيتها، واكتسبت شهرة واسعة لوقوعها على طريق

---

٣٦ الحواس،عمارة المنزل بمنطقة حائل،ص ١٢٨.

(37)King, G The Historical Mosques of Saudi Arabia, London, 1986, P. 120.

38 السعيد وآخرون، آثار منطقة حائل، ص ١٩٤.

39 الحموي، معجم البلدان، الجزء الرابع، ص ٢٨٢.

٤٠ الحلوة،صلاح وماكنزي،نبيل،برنامج توثيق معالم الطريق الإسلامي الشهير درب زبيدة عام١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،أطلال، العدد الرابع١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ص ٥٧-٥٩؛ الرضيمان، جزاع عبدالله، فيد حديث التاريخ والحضارة والفروسية والشعر والآثار،الرياض،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م؛ الحواس،فهد بن صالح، الاكتشافات الأثرية الحديثة في مدينة فيد التاريخية بمنطقة حائل، أبحاث ندوة المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية:النشأة والتطور، الجوف، المملكة العربية السعودية من٣-٥ ذو القعدة١٤٢٦هـ/٥-٧ديسمبر٢٠٠٥م، الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ص ٢٠٣- ٢٢٢؛ وهذا البحث ملخص=

الحج الكوفي، فازدهرت بذلك خلال العصرين الأموي والعباسي، حيث كان الحجاج والتجار الذاهبون أو القادمون من بلاد شرق آسيا عبر العراق يستريحون فيها، ومنها يتزودون[٤١].

والآثار الباقية لمدينة فيد، خاصة السكنية توضح حقيقة، بأن هذه المدينة منذ فجر الإسلام كانت من أهم المدن الإسلامية المبكرة في وسط الجزيرة العربية، وأنها أكبر محطة في درب الحج العراقي على الإطلاق، حيث تعتبر المدينة الثالثة بالنسبة للدرب بعد مكة المكرمة وبغداد، وكانت تتميز بكبر مساحتها وامتداد عمرانها وتوفر مياهها ومراعيها[٤٢].

ونالت المدينة بعمرانها هذا العديد من المؤرخين والرحالة والجغرافيين، واشادوا بمبانيها وآبارها وأوديتها وبركها، إضافة إلى شهرتها التجارية[٤٣].

وكما سبق القول بأن مدينة فيد ذاع صيتها وعمرانها في بداية العصور الإسلامية المبكرة، إلا أنها تعرضت لإختلال أمني هدد طريق الحج العراقي بها إلى التوقف بسبب هجمات القرامطة على هذا الطريق سنة٢٩٤هـ/٩٠٧م وسيطرتهم عليها[٤٤]، بالإضافة إلى هجمات الأعراب على قوافل الحجاج أيضاً بالقرب منها، فنهبوا وسلبوا وأسروا بعض الحجيج[٤٥]. وانتهى بذلك دور المدينة كطريق لدرب الحج والتجارة وتحول إلى مدينة حائل[٤٦].

والبحث يرى أن مدينة فيد ظلت صامدة أمام هذه الهجمات ولم تفقد كيانها المعماري والتجاري الذي تمتعت به حتى بدايات القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي والدليل على ذلك، أن الرحالة الشهير ابن جبير مر بمنطقة فيد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وأشار إلى أهمية عمارة المدينة ومرافقها قائلاً "...وهي حصن كبير مبرج مشرف في بسيط من الأرض يمتد حوله ربض (مرتفع)يطيف به سور

=باللغة العربية نقلاً عن الباحث نفسه من رسالته لنيل درجة الدكتوراه باللغة الانجليزية من جامعة ساوث همتون بانجلترا عام ٢٠٠٣م ولم تترجم بعد إلى اللغة العربية وهي بعنوان:
Architectural Remains of the Ancient of Faid in the Province of The Archaeological and Hail in Saudi Arabi.

[٤١] الوشمي، صالح،الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٤م،ص١٠٠.

[٤٢] الحلوة وماكنزي،التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعةلمسح درب زبيدة،ص٥٧.

[٤٣] يذكر من هؤلاء، الحربي، كتاب المناسك، ص ٣٠٩؛ الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير،تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،١٩٧٩م، الجزء السابع،ص ٥٧٨؛والحموي معجم البلدان،الجزء الرابع،ص ٢٨٢؛ وابن جبير،محمد بن أحمد بن جبير الكناني، رحلة ابن جبير، بيروت، ١٩٦٨م،ص ١٦٣؛ فالين، صور من شمالى جزيرة العرب،ص١٣٠.

[٤٤] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء السابع، ص ٥٤٨.

[٤٥] ابن الأثير،الكامل في التاريخ، الجزء السادس،ص ٥٠.

[٤٦] الحواس، الاكتشافات الأثرية الحديثة، ص ٢٢٠.

عتيق البنيان، وهو معمور بسكان من الأعراب، ينتعشون مع الحجاج في التجارات والمبايعات، وغير ذلك من المرافق..."[٤٧]. وكتب ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ عن فيد قائلاً "...وفيد:بليدة في نصف طريق مكة إلى الكوفة عامرة إلى الآن، يودع الحاج فيها أزوادهم ومايثقل من أمتعتهم عند أهلها..."[٤٨].

كما مر عليها ابن بطوطة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م بعد خروجه من مكة المكرمة متوجهاً إلى العراق وقال عنها "...ثم أسرينا ليلاً، وصبحنا بحصن فيد، وهو حصن كبير في بسيط من الأرض، يدور به سور، وعليه ربض، وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة..."[٤٩].

إضافة إلى ماذكره هؤلاء الرحالة، فأن منطقة فيد كانت عامرة بساكنيها، يمارسون نشاطهم التجاري والزراعي والصناعي حتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي،والدليل على ذلك تلك المعثورات الفنية التي توافرت بكثرة في موقع مدينة فيد التاريخية خاصة المعثورات الفخارية والخزفية ومن أهم أنواعها: الفخار المزجج المطلي، الخزف ذو الطلاء القصديري الأبيض، الخزف تقليد البورسلين الصيني والخزف تقليد السلادون الصيني[٥٠]. وهذه الأنواع كانت منتشرة انتشاراً واسعاً في العصر المملوكي خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[٥١].

المنشآت السكنية بفيد :

من خلال ما سبق، يتضح أن مدينة فيد وصلت ذروتها سياسياً في العصر العباسي، كما وصلت إلى درجة عالية من الناحية العمرانية والحضارية، واشتهرت في تلك الفترة بسعة مساحتها، وتوسع عمرانها. وقد أشار الفريق العلمي الآثاري المكلف بعمل المسح الميداني لها عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م –سبق الإشارة إليه– إلى أنها تحتوي على عدة وحدات معمارية تصل أبعادها إلى أكثر من كيلومتر ونصف× كيلومترين، ويقطن الأهالي داخل الأسوار وخارج الحصن المشار إليه سابقاً. وتظهر آثار البيوت بالمدينة القديمة في الجهة الشمالية الغربية من الحصن، وهذه الآثار عبارة عن أساسات لجدران بيوت ذات أحجام مختلفة، ويظهر ممرات تفصل البيوت بعضها عن بعض[٥٢].

---

[٤٧] ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص ١٦٤.

[٤٨] الحموي، معجم البلدان، مادة:فيد، الجزء الرابع، ص ٣٢٠.

[٤٩] ابن بطوطة، أبو عبد الله(٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة، المسماة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،بيروت،١٩٨٥م،ص١٥٦؛ والحصن أو السورالذي ذكره هؤلاء الرحالة بناه سرفتكين، الزينيحاكم إربل في أوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي؛ أنظر، الرضيمان، فيد،ص ص ١٧٨،١٧٧.

[٥٠] الحواس، الاكتشافات الأثرية الحديثةفي مدينة فيد التاريخية، ص ص ٢١٦-٢١٨.

[٥١] إبراهيم، جمال عبدالرحيم، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة،٢٠٠٠، ص ص ١٣-١٥.

[٥٢] الراشد، درب زبيدة، ص ٢٠٢.

ومن أهم نتائج المسح الميداني لهذه الوحدات السكنية مايلي:-

* مجموعة من الأساسات لمباني سكنية تقع في الجزء الغربي لحصن فيد المعروف محلياً بقصر (خراش)، والشكل العام لهذه الأساسات يوضح أنها لوحدات معمارية سكنية متفاوتة الأحجام والأشكال، إضافة إلى مجموعة من الشوارع والممرات الضيقة، التي تشكل النسيج المعماري للمدينة القديمة التي دمرت وأقيم مكانها المدينة الحديثة .

وتتكون هذه الوحدات المعمارية من بما يشبه القاعات والأفنية (لوحة ٤) و (لوحة ٥) ،(شكل١١) ومجموعة من الحجرات المتجاورة، تشرف على صحن أوسط مكشوف، تستمد منه الإضاءة والتهوية وهذه الغرف مترابطة مع بعضها البعضكما هو مألوف بالمدن القديمة التي ترجع إلى الفترة العباسية، وملحق بهذه الوحدات بئر تتفرع منه قنوات طويلة[٥٣].

* مجموعة من الأساسات الحجرية لمبني سكني يقع بالجزء الجنوبي الغربي للمدينة القديمة، يرجع إلى الفترة العباسية، وذلك بناءً على ما عثر عليه من نقود عباسية، وزخارف جصية متساقطة من الجدران[٥٤].

والشكل العام لهذه المبنى يتكون من جدارين متوازيين من الصخور البازلتية (الحرّة) وعليها طبقة من الطوب اللبن والحجارة الصغيرة، بمنتصف الضلع الشرقي كان يوجد المدخل الرئيسي-غير واضح المعالم الآن- يفضي إلى ممر منكسر، ومنه إلى صحن البيت، والذي يشرف عليه حجرات الوحدات السكنية المتجاورة، ويتراوح سمك جدارها الآن بعد اكتمال عمليات الحفر والتنقيب بين ٤٠سم و٥٠سم (لوحة ٦).

* مجموعة من الأساسات لمبني سكني يقع في الجزء الشرقي من المدينة القديمة، يرجع إلى العصر العباسي أيضاً، استناداً إلى المعثورات الجصية والخزفية والفخارية والزجاجية التي تم اكتشافها به[٥٥]. ومن خلال المعالم المتبقية لهذا المبنى، يتضح أنه عبارة عن مساحة مستطيلة، بالجهة الغربي منه شارع، وفي شرقه أساسات جدارية لحجرات مترابطة تشرف على صحن أوسط مستطيل، مبنية جميعاً من الطوب اللبن والحجارة على أساسات صخرية (الحرّة) (لوحة ٧).

* مجموعة من الأساسات الحجرية لمبني مستطيل محصن يقع في المنطقة الغربية من المدينة القديمة، مساحته ٩٠×٤٠م، له سور خارجي أساساته من حجر البازلت، وبكل ركن من أركانه برج على هيئة ¾ دائرة[٥٦].

---

[٥٣] الحلوة وماكنزي،التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة،أطلال،العدد الرابع،ص ٥٧.
[٥٤] الحواس، الاكتشافات الأثرية الحديثة في مدينة فيد التاريخية، ص ٢١١.
[٥٥] الحواس، الاكتشافات الأثرية في مدينة فيد التاريخية،ص ٢١٢.
[٥٦] الحلوة وماكنزي،التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة،أطلال،العدد الرابع،ص ٥٨.

والمدخل الرئيسي لهذا المبني يقع بمنتصف الضلع الشرقي ويفضي إلى ممر مستطيل ومنه إلى صحن البيت أو المبني ويشرف عليه بعض من الحجرات المترابطة، وملحق بهذا المبني ثلاثة آبار للشرب والزراعة (شكل ١١) .

والجدير بالذكر أن مدينة فيد مثلها مثل المدن الإسلامية المبكرة، كانت تضم داخل نسيجها العمراني المسجد الجامع، ومن خلال المسح الآثاري للمدينة القديمة تم العثور على مساحة مستطيلة أبعادها ٤٠×٩٠م، بمنتصف الجدار الجنوبي دخلة المحراب[٥٧]. وربما يرجع تاريخ إنشاء هذا المسجد إلى وقت مبكر منذ إنشاء المدينة وعمرانها في بداية الإسلام، إلا أنه كان عامراً بالعلم والفقه والعلماء في العصر العباسي، واستقر فيه العلماء ونسبوا إليه وإلى مدينة فيد[٥٨].

هذه نماذج من الوحدات السكنية المبكرة بالجزيرة العربية والتي آثارها الباقية لا تزال قائمة إلى وقتنا هذا، تميزت عمارتها بانعكاسات بيئية ومجتمعية، إذ تختلف في حجمها وشكلها، فمنها المبسط المتواضع، ومنها المنتظم في شكله وتصميمه ومنها الكبير المحصن، ومنها ذو الطابق الواحد ومنها ذو الطابقين أو الثلاثة. وهذا الاختلاف ينشأ في الغالب جراء تنوع أساليب استغلال الأرض ومستويات المعيشة بين السكان، ويلاحظ أن هذا النسيج العمراني يتمحور في الغالب حول نقطة مركزية يمثلها المسجد الجامع أو السوق التجاري أو كلاهما ومن هذه النقطة تنمو وتتمدد المنشآت السكنية باتجاهات عديدة مشكلة بذلك الأزقة والشوارع والأحياء ونحوها.

أما مدينة الفسطاط بمصر، فهي بحق من أعرق عواصم الأقطار الإسلامية المبكرة، يشغل موقعها القديم مساحة مستطيلة طولها حوالي٥كيلومتر، وعرضها كيلومتر واحد، أسسها عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤٢م، بعد أن رفض الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بأن تكون الأسكندرية عاصمة لمصر[٥٩].

واشترك في تخطيطها أربعة من العرب، الذين لهم دراية بعلم تخطيط المدن، وهم معاوية بن حديج التجيبي، وحيول بن ناشرة المعافري، وشريك بن سمى العطيفي، وعمرو بن قزحم الحولاني[٦٠].

وتجدر الإشارة إلى أن التاريخ العمراني لمدينة الفسطاط، تخلله فترات انحدار وانحصار وفوضى، بسبب ما تعرضت له من دمار وحرائق بسبب الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها، وأولى هذه الحرائق كانت على يد مروان بن محمد آخر خلفاء

---

[٥٧] الحواس، الاكتشافات الأثرية الحديثة في مدينة فيد التاريخية، ص ٢١٣.
[٥٨] الحربي، كتاب المناسك، ص ٣٠٩.
[٥٩] أحمد، عبد الرازق أحمد، بيوت الفسطاط الأثرية، مجلة المتحف العربي، السنة الرابعة، العدد الأول، الكويت،١٩٨٨م، ص ٦.
[٦٠] نويصر، حسني محمد، الآثار الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨م،ص ١٠٢.

بني أمية عندما فر هارباً أمام جيوش العباسيين في عام١٣٢هـ/٧٥٠م، فاضطر إلى حرقها أثناء انسحابه منها وعبوره النيل متوجهاً إلى الجيزة[٦١]. وتعرضت المدينة للنهب والدمار ثانياً على يد الجيوش العباسية في عام ٢٩٢هـ/٩٠٥م عندما جاء محمد بن سليمان الكاتب بجيشه للقضاء على الدولة الطولونية التي استقلت بحكم مصر[٦٢]. وثالثاً وعلى الرغم من أزدهار الفسطاط كعاصمة وإكتفائها ذاتياً، لسد حاجيات سكانها في كل شيء، إلا أنها نُهبت وسُلبت على يد الفاطميين في زمن حكم الخليفة العزيز بالله وابنه الحاكم بأمر الله، وأيام الشدة المستنصرية في الفترة من ٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٠٧١م[٦٣]. ورابعاً في نهاية العصر الفاطمي كانت الطامة الكبري على المدينة، حيث أمر الوزير الفاطمي شاور بحرقها عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م بهدف منع الجيش الصليبي من السيطرة عليها، وأصبحت المدينة منذ ذلك الوقت دماراً وخراباً. ولم يمتد العمران إليها رغم المحاولات التي جرت لدفعه إليها خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ومال الناس لإعمار المساحات الشمالية الغربية منها بينما بقيت أطلالها شمال شرق جامع عمرو بن العاص باقية إلى اليوم[٦٤].

ومن خلال المسح الآثاري الذي قام به علي بهجت وجبرائيل في الفترة مابين سنة ١٩١١- ١٩١٣م، والدراسات الحديثة والتي سبق الإشارة إليها أمكن التعرف على نواحي العمران في هذه المدينة. فقد أكتشف فيها العديد من الدور السكنية المتعددة الأنماط المعمارية والتخطيطية، وأنها كانت ملائمة لطبيعة المسلمين في سكناهم، أي أنها كانت تخضع لقيود وشروط يفرض على الناس إحترامها، مثلها في ذلك مثل المنشآت السكنية في بلاد الجزيرة العربية وبقايا المساكن المبكرة في العالم الإسلامي[٦٥].

*** نماذج من المنشآت السكنية بالفسطاط:**

من خلال المسح الآثاري والدراسات السابق الإشارة إليها وما تبق من المنشآت السكنية بمدينة الفسطاط، أتضح أن تصميم الدور كانت تبنى على أساس نموذجين، الأول وهو نموذج الدور الشامية وأغلبها يرجع إلى عصر الولاة الأمويين. والثاني وهو نموذج الدور العباسية العراقية، وأغلبها يرجع إلى عصر الولاة العباسيين والدولة الطولونية في مصر[٦٦].

---

[٦١] زكي، عبد الرحمن، القاهرة، تاريخها، آثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ، القاهرة، سنة ١٩٦٦م، ص ٢٠٠.
[٦٢] عثمان، العمارة الفاطمية، ص ٢٠٥.
[٦٣] أحمد، بيوت الفسطاط،ص ٧.
[٦٤] عثمان، العمارة الفاطمية، ص ٢٠٦.
[٦٥] شافعي، العمارة العربية، ص ٣٥٤.
[٦٦] شافعي، العمارة العربية،ص ٣٥٥.

وكانت البيوت تبنى من الطوب اللبن في بدايتها الأولى ثم من الآجر وبمونة من خليط من الجير والرمل والقصرمل، وكانت تتميز بالبساطة في البناء والبعض منها كان يتكون من طابق أو طابقين أو أكثر، كل حسب سمك أساسات جدرانه[٦٧]. وكانت الدار تتكون من وحدة للإستقبال تشرف على الصحن أو الفناء الأوسط المكشوف، الذي يفتح عليه وحدات الدار وأهمها القسم الشمالي مصدر النسيم الملطف في فصل الصيف، وهو يشتمل على إيوان أوسط مغطى وحجرتين أو أكثر جانبية يتقدمها جميعاً سقيفة مستعرضة تفتح على الفناء المكشوف من خلال صف من الأعمدة[٦٨].

وفي إطار بقايا وحفريات مدينة الفسطاط والدراسات السابقة يمكن تصنيف بعض الدور إلى مايلي:-

*قام شافعي بعمل دراسة تحليلية لتصور بعض الدور المبكرة لمدينة الفسطاط ومنها دار عبدالله بن عمرو بن العاص (شكل ١٢) ، حيث أورد في وصفه للدور المبكرة بأنها كانت تتميز بالتقشف والبساطة اللذين كانا متبعين في التصميم والبناء بعد الفتح مباشرة حتى للولاة وكبار القوم، وقد اعقبها بنحو ربع قرن الميل إلى الضخامة والفخامة. وأن دار عبدالله كانت كبيرة تمتاز بالتأنق والاتساع حتى سميت بالقصر، وأن هذه الدار يحتمل بأن تكون مزودة بأبراج نصف دائرية على مسافات متساوية، وأبراج على هيئة ¾ دائرة في الأركان وعلى جانبي المدخل الرئيسي، مشابهاً في ذلك قصور الخلفاء الأمويين في بلاد الشام مثل قصر المشتى[٦٩].

والتكوين العام للقصر يتكون من فناء أوسط مكشوف يشرف عليه أفنية القصر الرئيسية وملحق خلفها الحجرات ثم ملاحق القصر المختلفة.

*جزء أو جناح لبيت يرجع إلى العصر الطولوني كشف عنه في منطقة العسكر ويمكن تأريخه إلى حوالي ٢٨٥هـ/٩٠٠م من خلال ماعثر عليه من زخارف جصية على جدرانه (شكل ١٣)[٧٠].

وتتكون هذه الكتلة السكنية من فناء أوسط يتوسطه نافورة مثمنة الشكل، ثم إيوان مستطيل يكتنفه حجرتان، يتقدم هذا التكوين المعماري سقيفة ثلاثية الفتحات تشرف بدورها على الفنار المكشوف.

* أساس لدار سكنية كاملة ترجع إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[٧١](شكل ١٤) على هيئة مستطيل غير منتظم الأضلاع، تتكون من صحن أو فناء أوسط مكشوف يتوسطه نافورة مربعة المسقط، مثمنة من الداخل، يشرف على الفناء من الجهة الشمالية الشرقية سقيفة ثلاثية الفتحات تؤدي بدورها إلى الجناح الرئيسي

---

٦٧ أحمد، بيوت الفسطاط، ص ٧؛ عثمان، العمارة الفاطمية، ص ٢١٢.
٦٨ بهجت، ألبير، حفريات الفسطاط، ص ٥٢.
٦٩ شافعي، العمارة العربية، ص ٣٥٥، شكل ١٧٣.
٧٠ شافعي، العمارة الإسلامية، ص ٤٢٧.
٧٠ بهجت، ألبير، حفريات الفسطاط، ص ١٠٣؛ أحمد، بيوت الفسطاط، ص ١١.

للدار. والذي يضم إيوان مستطيل في الوسط يكتنفه حجرتان، أما الجوانب الثلاثة الأخرى للفناء فيوجد دخلات صغيرة على هيئة إيوانات بسيطة التكوين. وبالركن الجنوبي للدار يوجد صهريج أرضي منحوت في الصخر مخصص للصرف الصحي، مزود بأنظمة متقنة لمجموعة من القنوات والمجاري تلتف عادة خلف الجدران الخارجية لتصب فيه، والجدير بالذكر بأنه كان يراعى وجود صهريج المياه المخصصة للشرب بعيدة عن هذه الصهاريج حتى لا تتلوث مياه الشرب عن طريق مسامات الأرض.

وقد عثر على ما تبق من جدران هذه الدار وعلى مجموعة من الزخارف الجصية والكتابات الكوفية التي ترجح بأن هذه الدار ترجع إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

* أساس لدار تعرف في تصنيف بهجت وآلبير وشافعي بالدار رقم (٣) (شكل ١٥) عبارة عن مساحة لمستطيل غير منتظم ترجع إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[٧٢]، لها مدخل رئيسي منكسر بالجهة الغربية، يفضى إلى الصحن أو الفناء المكشوف الذي يتوسط الدار بداخله نافورة مربعة الشكل من الخارج ومثمنة من الداخل. يشرف على الفناء من الجهة الغربية سقيفة ثلاثية الفتحات يليها دخلة إيوان مستطيلة يكتنفها حجرتان، ومن الخلف يوجد حواصل ضيقة للتخزين. وشغلت الجهات الثلاثة الأخرى المطلة على الفناء المكشوف بباقي الوحدات المعمارية للدار، ففي الجهات الشمالية يوجد فتحة باب تؤدي إلى حاصل صغير، وبالجهة الشرقية يوجد دخلة إيوان مستطيل به حوض ماء يشبه النافورة، وبصدر الإيوان يوجد دخلة الشاذروان التي تنتهي عادة بلوح رخامي عليه زخارف متعرجة يعرف بالسلسبيل، وكان الغرض من ذلك هو تلطيف درجة حرارة القاعة (الإيوان) في فصل الصيف، وبالجهة الجنوبية من الصحن يوجد دخلة إيوان مستطيل ينتهي بفتحات تؤدي بدورها إلى الملاحق الخلفية للدار وهي الحواصل المخصصة لتخزين الحبوب، وفي النهاية توجد المراحيض.

وفي إطار الوصف السابق لبعض من دور مدينة الفسطاط يمكن معرفة المميزات التالية لها:

* أن المحور الرئيسي لدور الفسطاط في التخطيط ينطلق من الصحن الأوسط المكشوف والفناء المزود بنافورة مياه، ويشرف عليه سقيفة عادة ما تكون ثلاثية العقود(الفتحات) ، إضافة إلى المكونات المعمارية والزخرفية الأخرى للدار والتي سبق ذكرها.
* أن تخطيطات الدور كانت تخضع لشكل الموقع الذي أقيم عليه الدار، ومعظم هذه المواقع غير منتظمة نظراً لعدم انتظام الطرق والأزقة والدروب التي كانت تؤدي

[٧٢] عثمان، العمارة الفاطمية، ص ٢٣٤.

إلى تلك الدور، ورغم ذلك نجح المعمار في تنظيم عمارة الوحدات المعمارية للدار من الداخل.

* أن هناك أدلة قاطعة تحسم إلى تعدد طوابق بعض دور الفسطاط ، وهي الدور المزودة بوسائل إمدادها بالمياه والصرف الصحي، حيث يوجد بهذه الدور قنوات تحت الأرض لتصب في خزانات الصرف التي تعرف بالمجاوير، ولم تكن هناك حاجة لها إذا ما كان الهدف هو بناء الدار من طابق أرضي. إضافة إلى وجود أنابيب فخارية رأسية عثر عليها داخل الجدران، كانت تغذي دورات المياه العلوية أو تغذي الأدوار السفلية مما يؤكد بأن الدور كانت مزودة بصهاريج مياه فوق أسطحها وكانت ترفع إليها الماء بالبكر والأسطال من الآبار المحفورة خصيصاً لها ويجلب إليها الماء من النيل الذي كان قريب منها[٧٣].
* أن دورات المياه المخصصة للمراحيض كانت توجد في أماكن متطرفة يوصل إليها في أغلب الأحيان عن طريق ممرات منكسرة وبزوايا قائمة، وكان يراعي وضع هذه المراحيض بعيدة عن أماكن المعيشة والجلوس كى لا تأذي من بداخلها بالروائح الكريهة.
* أن بعض الدور والتي كان يملكها الأثرياء، كانت تضم في وحداتها المعمارية غرف صغيرة للخدم، وغرف خلفية لمبيت الدواب (اسطبلات) وموضعها في الجهة القبلية من الدار.
* زودت الكثير من الدور بحواصل تستعمل لمخازن الغلال وغيرها.

الدراسة التحليلية :

في إطار الوصف السابق لبعض من نماذج الدور السكنية في الجزيرة العربية وفسطاط مصر، يمكن رصد بعض المقارنات لأهم العناصر المعمارية والفنية المكونة لهذه الدور، لمناقشة أوجه التشابه والاختلاف بينها من خلال هذه الدراسة التحليلية.

أولاً : الشكل العام .

ركز المعمار في كل من الأقليمين (بلاد الجزيرة والفسطاط) على وحدة الإطار العام التي تربط الدور السكنية بعضها ببعض على وجود عناصر معمارية أساسية في عمارة البيت الإسلامي مثل المداخل والأفنية وحجرات المعيشة وملاحقها والمنافع، حيث خططت وفق الظروف والتأثيرات الدينية والاجتماعية والإقتصادية والطبيعية.

وتبين من خلال النماذج المتبقية بأن الدور السكنية بعضها كان يتكون من طابق واحد والبعض الآخر من طابقين أو ثلاثة، والأخيرة كانت منتشرة في الفسطاط أكثر منها في الجزيرة العربية.

[٧٣] شافعي، العمارة العربية، ص ٤٤٧.

ثانياً : المداخـــــل .

تنفيذاً للمعايير والتأثيرات الدينية والاجتماعية والمناخية، شكلت المداخل الخاصة بالدور في الإقليمين أهمية خاصة لدى المعمار المسلم، فقد لوحظ في تخطيط المداخل للدور السكنية أن يكون منكسراً[٧٤].

وقد تشابهت المداخل في بلاد الجزيرة ومصر من حيث مساقطها الأفقية وماتفضي إليه بهذه السمة المعمارية، رغبة لساكني هذه الدور في تطبيق مبدأ خصوصية المنزل وفق القيم والعادات الإسلامية المتوارثة، وذلك بالتنسيق في فتحات الأبواب الخاصة بالمداخل الرئيسية بحيث لا تكون متقابلة، لتقي من بداخل المنزل من الحريم من أعين الغرباء والمارة، مما يعطي نوعاً من الطمأنينة والاستقلالية للعائلة. وترتبط ظاهرة عدم تقابل المداخل الخارجية بجذور إسلامية تعرف بتنكيب الأبواب وهو مصطلح فقهي معماري يعني عدم تواجه الأبواب الخارجية للدور للدور بحيث تكون على محاور مختلفة حتى لايكشف بعضها بعضاً[٧٥].

وقد لوحظ أيضاً في الأقليمين أن المدخل المنكسر نفذه المعمار غالباً بصيغ متنوعة ارتبطت بالشكل والمساحة المتاحة لإقامة الدار.

وجرت العادة بأن يخصص المعمار أكثر من مدخل خارجي للدار، أحداهما رئيسي مخصص للرجال والضيوف وموقعه إلى الطريق الرئيسي، والثاني مخصص للنساء وأهل المنزل ويقع في الطريق الآخر من الدار.

ومن المهم الإشارة إلى أن بعض مداخل الدور بمدينة الفسطاط لم تخطط بهيئة منكسرة ولكنها تؤدي مباشرة إلى الساحة الوسطى أو الفناء المكشوف، وكان ذلك تبعاً للمساحة المرتبطة لبناء الدار وموقعها على الطريق، كما توجد مداخل مباشرة دون إنكسار تفضي إلى المخازن والمرافق الملحقة بالدار.

ثالثاً : الساحة الوسطى أو الفناء المكشوف .

في إطار الرؤية المعمارية لمساحات الدور السكنية موضوع الدراسة كان للساحة الوسطى أو الفناء المكشوف الداخلي وجوداً أساسياً، هذا الفناء يكون مسقطه إما مربع أو مستطيل يتوسطه نافورة أو فسقية وأحواض قنواتها ممتدة من الشاذروانات والأخيرة تظهر بصورة جيدة في بيوت الفسطاط عن غيرها في بلاد الجزيرة. كما يزرع حولها لإعطاء داخل الدار منظراً ورؤية جمالية.

ويعد الفناء المكشوف أحد أهم العناصر التخطيطية في عمارة الدور السكنية في بلاد الجزيرة، نظراً لموائمة هذا العنصر مع الظروف البيئية المختلفة، فإلى جانب

---

[٧٤] عن المدخل المنكسر وتأصيله في العمارة الحربية والسكنية وغيرها؛ انظـــر: شـــافعي، العمـــارة العربية،ص ١٨١.

[٧٥] عثمان، محمد عبد الستار، عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معماريـــة، الأســـكندرية، ســـنة ١٩٩٩م، ص ٢٦٧.

استخدامه كعلاج للنماذج الشديدة الحرارة، ومنظم لدرجة حرارة الجو في المسكن، حيث عرف أن الهواء البارد يهبط إلى أدنى مستوى ليلاً في الفناء الداخل ثم مايلبث أن يتسرب إلى الحجرات فيلطف حرارتها، ويظل محصوراً بين جدران الفناء حتى ساعة متأخرة من النهار كأنه خزان للترطيب[٧٦]. إلى جانب هذا يعد الفناء المكشوف مركز تجمع لأفراد الأسرة الواحدة حيث التهوية الجيدة والإضاءة والمنظر الخلاب من شكل النافورة وملحقاتها.

كما يعد الفناء المكشوف أيضاً أحد أهم العناصر التخطيطية في عمارة الدور السكنية بمدينة الفسطاط، فقد وجد هذا الفناء يتوسط الدار أيضاً وتنفتح عليه جميع الوحدات تقريباً وخصوصاً الإيوان الأوسط وحجرتين يتقدمهم جميعاً سقيفة تفتح عليه من خلال ثلاث فتحات معقودة. وفي إطار هذه الرؤية الوظيفية للفناء المكشوف في هذه الدور كان وجوده ضرورياً لأن شوارع وسكك مدينة الفسطاط كانت في الغالب ضيقة حيث يصل أكبر اتساع لشوارعها ٦ متراً بينما وصل معظمها إلى اتساع يتراوح من ١-٢ متر وهو ماجعل هذه الشوارع بالنهار مظلمة لإرتفاع المباني على جوانبها ارتفاعاً شاهقاً وصل إلى عدة طوابق. ومما لاشك فيه أن دور بلاد الجزيرة كانت تتميز بهذه السمة على الرغم من اختلاف الظروف المناخية.

رابعاً : الحجرات والسقيفة .

وجدت في الدور السكنية في بلاد الجزيرة والفسطاط سقائف ثلاثية الفتحات تشرف من خلالها على الفناء المكشوف، حتى أنه لاتكاد تخلو الدار من هذه الدور من سقيفة أو أكثر.

إلا أن وجود السقائف ارتبط في كل الحالات بتخطيط الحجرات والأواوين الرئيسية ومايكتنفها من حجرات المعيشة أو السكنى أو عناصر معمارية أخرى فرضها التخطيط والمساحة كالدخلات أو الممرات أو غيرها. وفي إطار ذلك يتضح إلى حد كبير وظيفة هذه السقائف، فهي توفر حرية وسرعة التنقل إلى كافة الحجرات الجانبية في دور بلاد الجزيرة وحجرات وإيوانات دور الفسطاط دون التعرض إلى أشعة الشمس خاصة في الأولى، وأن هذه السقائف تعمل بلاشك بتزويد الوحدات المعمارية الداخلية والجانبية بما تحتاجه من إضاءة وتهوية واستقبال نسمات الهواء الباردة التي يتم سحبها عن طريق فتحة الفناء مروراً بالمساحات الخضراء ومنها إلى الداخل.

خامساً : المجالس .

تبدو أن المجالس في دور بلاد الجزيرة كانت تختلف عن مثيلاتها في دور الفسطاط، فكانت في الأولى مستقلة عن وحدات المنزل الداخلية، وغالباً ما تقع في

[٧٦] الصالح، ناصر عبد الله، المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية، الرياض،١٩٨٤م، ص ١١.

الجزء الأمامي من الدار وبمدخل مستقل خاص بالرجال تصل من خلاله إلى قاعات الاستقبال (المجالس) وعبر مداخل غير مباشرة[٧٧].

أما في دور الفسطاط فكانت المجالس تقع داخل السقائف المطلة على الفناء المكشوف، حيث كانت تستخدم لجلوس أهل الدار أو في حالة استقبال الضيوف. بيد أنه يمكن لصاحب الدار أن يؤجر أحد طوابق داره التي يسكنها للغرباء ويمكن أن يستقبل ضيوفه في الدور الأرضي في الإيوان الرئيسي الذي تتقدمه السقيفة وفي هذه الحالة تكون الحاجة أكثر إلحاحاً لحماية من بالوحدات خلف السقيفة من بعض السكان من المستأجرين[٧٨].

سادساً : نظام إمداد المنازل بالمياه والصرف الصحي .

لعل أبلغ ما وصلت إليه الدور السكنية في الأقليمين موضوع الدراسة، هو ذلك النظام الدقيق لتغذية المنزل بالمياه الصالحة للشرب، وتصريف هذه المياه بعد استعمالها كنظام للصرف الصحي المتقن في سائر أجزاء المنزل.

وكشفت الحفريات أن الدور السكنية في بلاد الجزيرة (لوحة ٨) كانت تستمد مياه الشرب من إبيار اسطوانية الحجم يصل قطرها حوالي ٢متر وعمقها حوالي ٦ متر وتعرف باسم"الحسو" بكسر الحاء وضم السين[٧٩]، ويتم حفرها غالباً في الأرض الرملية الهشة حتى الوصول إلى الماء الذي يسد الحاجة، وإن دعت الضرورة فإن الحفر يستمر حتى الأرض الصخرية الصلبة، وبعد الوصول إلى الماء يتم رفعها بواسطة بكرة خشبية إلى سطح الأرض ثم توزيعها إلى جميع أنحاء الدور. وفي أغلب الأحيان كانت تليس جدران البئر بمادة القضاض (الغافقى بمصر) حتى تسد مسامات التربة لتمنع تسرب مياه الصرف الصحي إليها.

أما آبار الصرف الصحي فكانت تحفر بعيداً عن وحدات الدور وتكون قريبة من مراحيض الدار والتي تقع غالباً في أحد الأركان، وقريبة أيضاً من المغسل المخصص للغسيل والوضوء[٨٠].

وفي دور الفسطاط أثبتت الحفريات التي أجريت بها والدراسات التي قام بها علماء الآثار السابق الإشارة إليها، أن هذه الدور كان لها آبار منحوتة في الصخرة مستديرة الشكل يصل قطرها مابين ١،٥إلى ٢ متراً وتملأ بواسطة الدواب من مياه النيل القريبة

---

[٧٧] الحواس، عمارة المنزل، ص ١٧١.

[٧٨] عثمان، العمارة الفاطمية، ص ٢٥٩.

[٧٩] العمير، العمارة التقليدية، ص ١٣٦.

[٨٠] غبان، على بن إبراهيم، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة: مدخل عام، الرياض،١٤١٤هـ، ص ٢٩٦.

منها ثم ترفع المياه بواسطة البكر والأسطال إلى صهاريج لخزن المياه فوق سطح الدار[٨١].

وكانت توزع المياه من هذه الصهاريج إلى أنحاء الدار كل حسب غرضه، وتصرف أخيراً إلى مراحيض كان يخصص أماكن معتكفة يوصل إليها في أغلب الأحيان ممرات منكسرة بزوايا قائمة، وكان يراعى بقدر الإمكان وضع مرحاض قريب من جناح المعيشة النهارية والاستقبالات، ومنها عبر مجموعة من القنوات والمجاري تلتف عادة خلف الجدران الخارجية للدار وتنتهي ببيارات "مجاري" نحتت بدورها في الصخر ولكن على حافة الطريق الذي تطل عليه واجهة البيت حيث تطل عليه بواسطة فتحات معقودة على مستوى أرضية الطريق أو منخفضة قليلاً عنها حتى يسهل نزح البيارة وتفريغها بعد امتلائها[٨٢].

سابعاً : الملاحـــــق .

جاء اختيار مواقع الملاحق في كلا الإقليمين متطابقاً فهي تقع دائماً في الأماكن الخلفية من حجرات المنزل الرئيسية. بهدف عزلها عن هذه الحجرات. وهي تشمل المطابخ والحظائر والحواصل أي المخازن لحفظ المؤن الخاصة بأكلها، ثم على حجرات لم يقوم على خدمتها. وتميزت دور الجزيرة العربية بوجود بساتين تزرع ملحقة بالدور نظراً للمساحات الشاسعة الصحراوية التي تتميز بمساحة مدينتها وشوارعها الضيقة .

ومن أهم الملاحق التي تميزت بها الدور في الإقليمين خاصة الدور التي كان يملكها الأثرياء و ذوي المقدرة من الناس بوجه خاص، إسطبلات للدواب التي كانت تستعمل في تلك الأيام لنقل المواد اللازمة للمعيشة لأهل الدار، ثم لحمل أفرادها في تنقلاتهم ورحلاتهم. وأن هناك دور وبيوت لم يتضح فيها آثار لهذه الملحقات، وأنه من الراجح أن يكون لدى أصحابها دابة تقف بجوار البيت إذا لم يكن هناك لها مكان بداخله ومن البديهي أن يكون أمثال هؤلاء من متوسطي الحال[٨٣].

ثامناً : عناصر ومواد الإنشاء .

كان للمؤثرات البيئية والمادية تدخل كبيراً وبشكل مباشر في تكوين العناصر ومواد الإنشاء للدور السكنية في الجزيرة العربية، ولاشك أن تنوع طرز الدور الأول وأحجامها وأشكالها يعتمد في المقام الأول على ماتجود به البيئة من مواد محلية سواء أكانت عضوية كأخشاب الأشجار وأغصانها، أو غير عضوية كالأحجار والطوب اللبن (الطيني) والجص ونحوها[٨٤]. وهكذا يظهر أثر البيئة التي تميزت بها بلاد الجزيرة العربية في المواد التي يصنع منها الدور السكنية فهناك الكثير من الدور استخدم

---

[٨١] شافعي، العمارة العربية، ص ٤٤٧.
[٨٢] محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية، ص ١٨٥.
[٨٣] شافعي، العمارة العربية، ص ٤٥١.
[٨٤] العمير، العمارة التقليدية، ص ٢٢.

الطوب اللبن (الطين) في بنائها وذلك لتوفر هذه المادة في محيط السكان لاسيما تلك المناطق القريبة من الأودية، إلى جانب كون هذه المادة يمكن تكيفها والمؤثرات المناخية الحارة[٨٥].

كما استخدمت الأحجار التي كانت تجلب من الجبال القريبة جنباً إلى جنب مع الطوب اللبن، بيد أن الأولى كان يعتمد عليها بصفة أساسية في تأسيس الجدار وعمل الأعمدة. أما مادة الجص فكانت تليس بها الجدار لحفظ درجة الحرارة الرطبة بالداخل في أوقات النهار نظراً لحساسية هذه المادة وقدرتها على امتصاص كميات كبيرة من الرطوبة[٨٦].

ومن المواد المستخدمة في بناء الدور بالجزيرة العربية –موضوع الدراسة– وبكثرة أخشاب الأثل وجذوع النخل، وكان استخدامها في سقف الحجرات وكافة الوحدات المعمارية الأخرى، إلى جانب صناعة الأبواب والنوافذ، أما سعف النخيل فيكاد يكون المادة الوحيدة التي ترص فوق خشب الأثل. وفي إطار ماسبق يتضح أن مواد البناء مستمدة من البيئة المحلية، وهذا الأمر أشاع مظاهر البساطة في ترشيد ماهو متاح في البيئة مع عدم هدر أي من هذه المواد[٨٧].

أما دور الفسطاط فكان الآجر والحجارة والجص، هي أهم مواد البناء المستخدمة في تشييد هذه الدور[٨٨]، وكان أسلوب البناء يتم بحيث يوضع طوبة من الآجر على جانبها الضيق كل أربعة أو خمسة مداميك وتكرار ذلك.

أما الجص فكانت تليس به الجدار ويزخرف بأساليب زخرفية متنوعة خاصة الأسلوب الذي يشبه الطراز الثالث من طرز مدينة سامراء بالعراق[٨٩].

---

[٨٥] وهيبة، عبدالفتاح محمد، في جغرافية العمران، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢٧.
[٨٦] البريهي،إبراهيم بن ناصر إبراهيم،الحرف والصناعات، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٩٨.
[٨٧] الفقير، بدر بن عادل، تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية، الرياض، ١٤٢٩هـ، ص ٣٣.
[٨٨] أحمد، بيوت الفسطاط، ص ٦.
[٨٩] شافعي، العمارة العربية، ص ٢٥٢.

الخلاصـــــــة :

خلال دراسة مكونات عمارة الدور السكنية في كل من بلاد الجزيرة العربية ومصر الفسطاط وعناصرها المعمارية، ومايرتبط بهما من عوامل مؤثرة دينية واجتماعية وإقتصادية وطبيعية، تم التوصل إلى مايلي:

١- أن هناك موروث معماري ظهر على عمارة الجزيرة العربية السكنية في بداية العصور الإسلامية، بسبب موقعها الجغرافي الذي يتوسط مراكز الحضارات على مر العصور، مما أدى إلى اتصال السكان الأصليين بتلك الحضارات المجاورة، وانعكس ذلك على عمارة مساكنهم، وبالتالي انتشر هذا الموروث المعماري في انحاء الأقطار التي دخلها الإسلام ولاسيما مصر وظهر هذا بوضوح في تأسيس وبناء بيوت مدينة الفسطاط.

٢- وجود تشابه في الخراب الذي تم في بعض مناطق بلاد الجزيرة والفسطاط بسبب الخلاف السياسي وضعف الخلافة العباسية في بغداد، مما نتج عنه هجر السكان منطقة الربذة على سبيل المثال وفسطاط مصر.

٣- كان للمؤثرات المناخية والدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية دوراً أساسياً في التخطيط الداخلي لعمارة الدور السكنية.

٤- نظراً لمدى العلاقة والارتباط الوثيق بين عادات المجتمع وتقاليده وتعاليم الدين الإسلامي، فإن هذه المدن أو المناطق موضوع الدراسة شيد بها مسجد جامع، يعد موقعه تمديداً للنسيج العمراني المكون من الأزقة والشوارع نحو مختلف الاتجاهات.

٥- أن هناك تشابه واضح في كثير من مكونات الدار المعمارية وعناصرها المعمارية بين بلاد الجزيرة ومصر الفسطاط، ويظهر هذا التشابه بشكل واضح في الموقع (أ) بالربذة وشكل قصر عبدالله بن عمر بن العاص بالفسطاط.

٦- وجود تكسيات جصية على جدار بعض الوحدات المعمارية للدور في بلاد الجزيرة والفسطاط، مما يوحى بمدى تأثر هذه المناطق بعمارة وفنون مركز الخلافة الإسلامية، ونخص بالذكر الأساليب الزخرفية الجصية لمدينة سامراء.

٧- تميزت الدور السكنية موضوع الدراسة بوجود مرافق كالمطابخ والحواصل للتخزين والاصطبلات والبساتين والحمامات والمراحيض، وكان يراعى أن تكون الأخيرة في المواضع الجنوبية والجنوبية الشرقية أو الجنوبية الغربية، لارتباط موضع مثل هذه العناصر بالسكة التي تطل عليها الدار لتسهيل رفع الفضلات من خزاناتها من خلال فتحات خارجية خاصة .

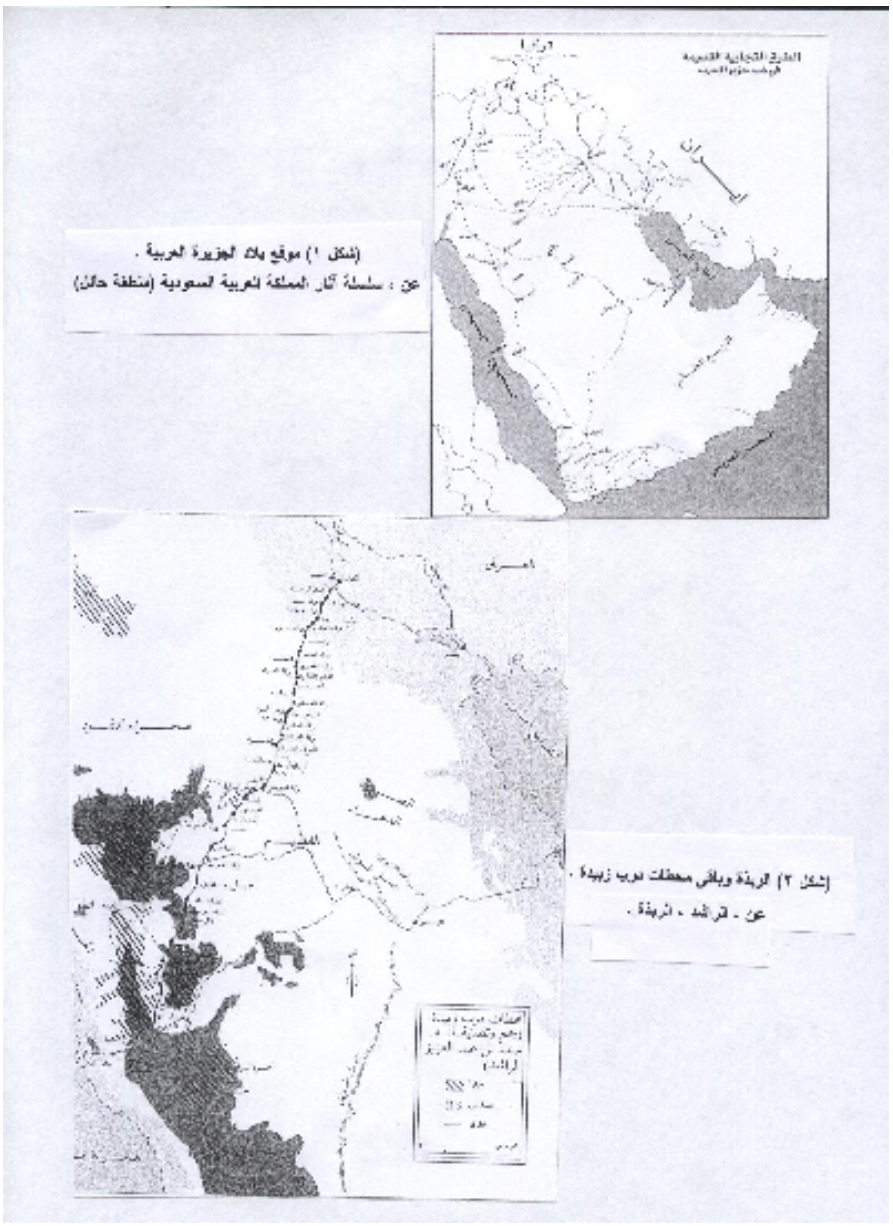

(شكل ١) موقع بلاد الجزيرة العربية .
عن : سلسلة آثار المملكة العربية السعودية (منطقة حائل)

(شكل ٢) الربذة وباقي محطات درب زبيدة .
عن . الرشد ، الربذة .

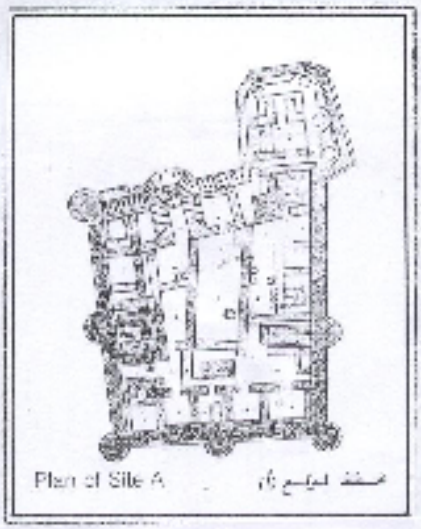

(شكل ٣) مسقط أفقي لموقع (أ) التمكلي بمنطقة الربيذة .
عن ، الراشد ، الربيذة .

(شكل ٤) مسقط أفقي لموقع (ب) التمكلي بمنطقة الربيذة . عن ، الراشد ، الربيذة .

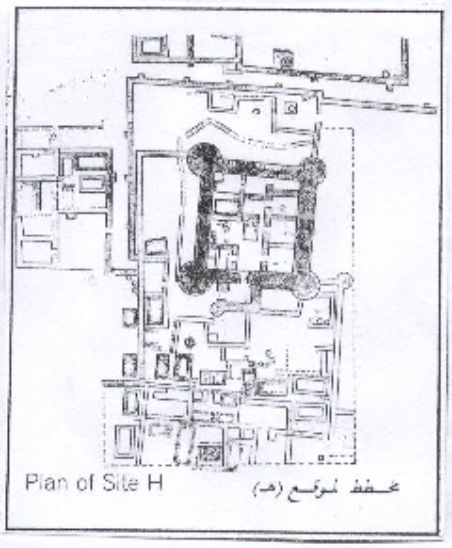

(شكل ٥) مسقط أفقي لموقع (هـ) السكنى بمنطقة الربذة . عن ، الراشد ، الربذة .

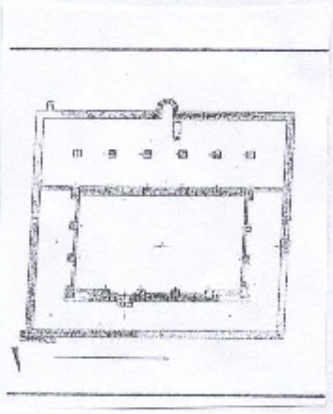

(شكل ٦) مسقط أفقي لمسجد المنطقة السكنية الغربية بالربذة . عن ، الراشد ، الربذة .

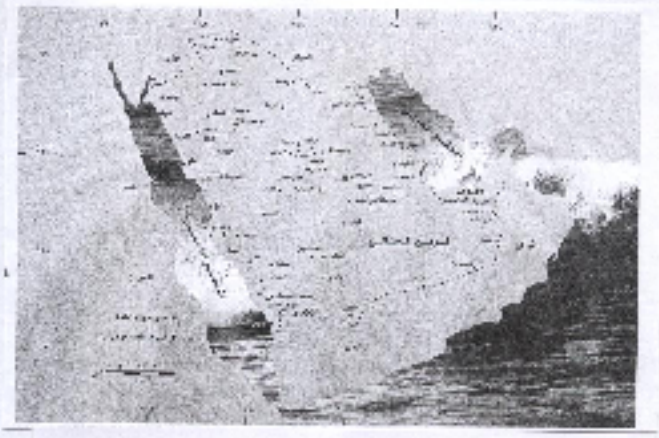

(شكل ٧) خريطة توضح منطقة حائل . عن . الأنصاري ، حائل ديرة حاتم .

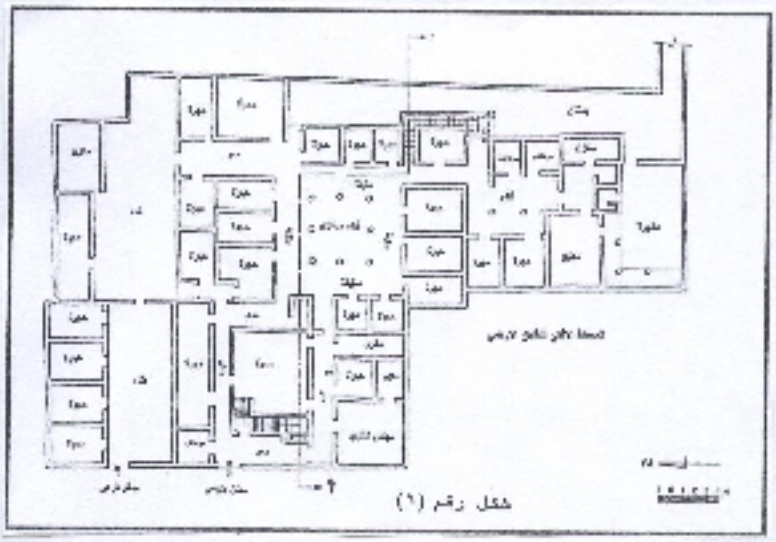

(شكل ٨) مسقط أفقي لأحد ادوار المسكنية بحائل . عن ، الحوامي ، عمارة المنازل .

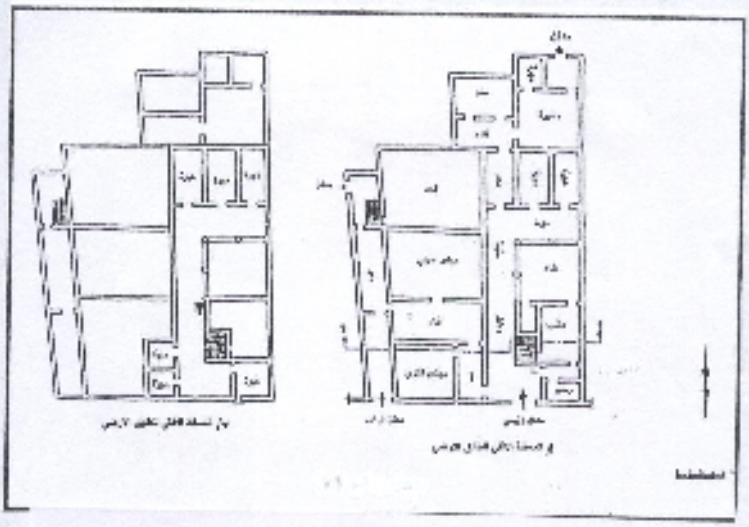

(شكل ٩) مسقط أفقي لأحد الدور السكنية بحائل . عن ، الحواس : عمارة المنزل .

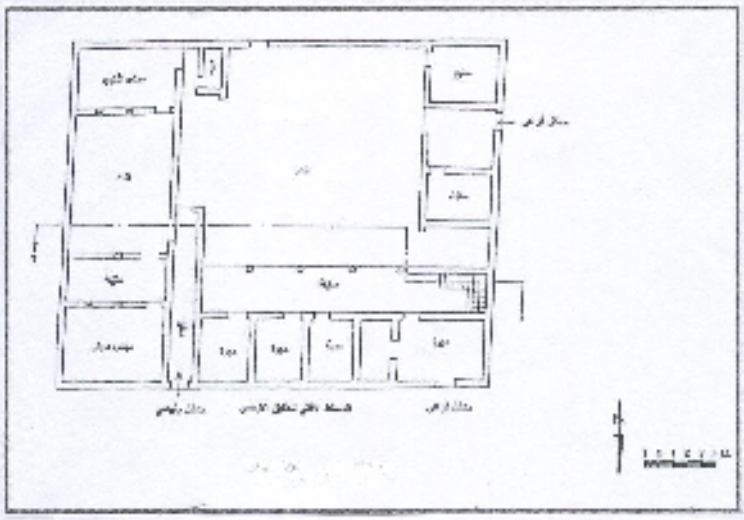

(شكل ١٠) مسقط أفقي لأحد الدور السكنية بحائل . عن ، الحواس : عمارة المنزل .

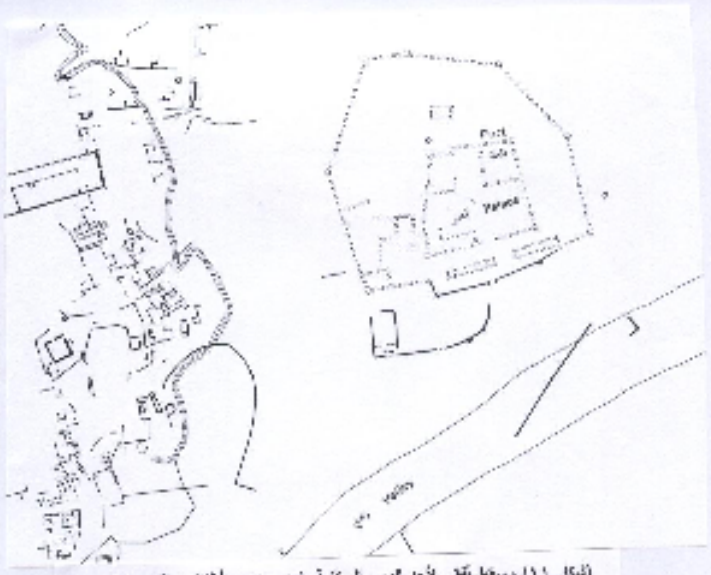

(شكل ١١) مسقط أفقي لأحد الدور السكنية بتيد ، عن ، أثلال ، العدد الرابع .

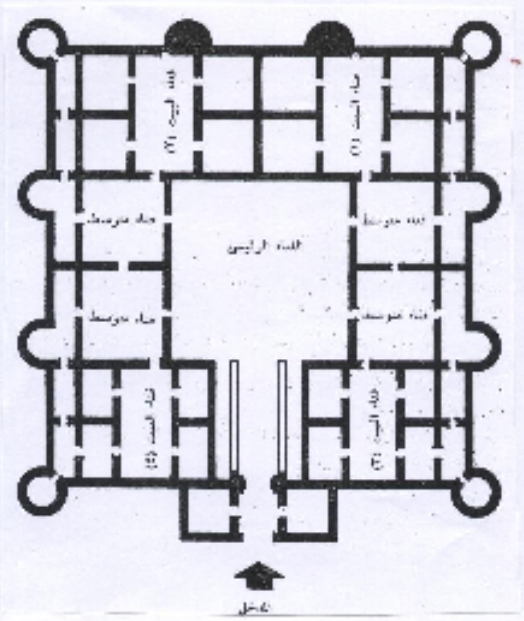

(شكل ١٢) قصر عبد الله عمرو بن العاص بالفسطاط . عن ، شافعي ، العمارة العربية .

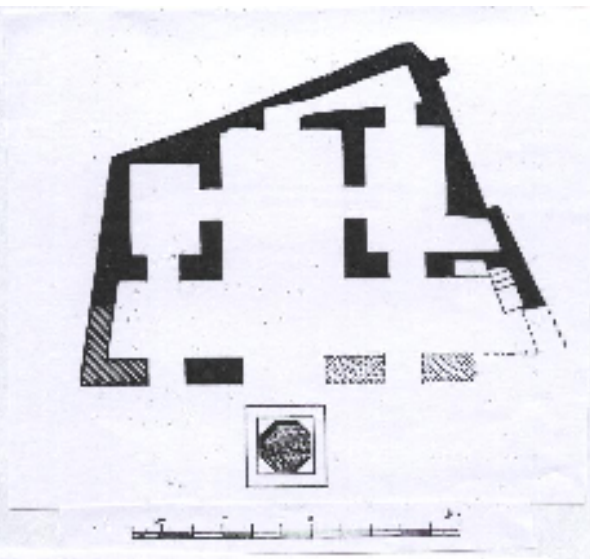

(شكل ١٣) البيت الطوطولي الأول . عن ، شاقمي : العمارة العربية .

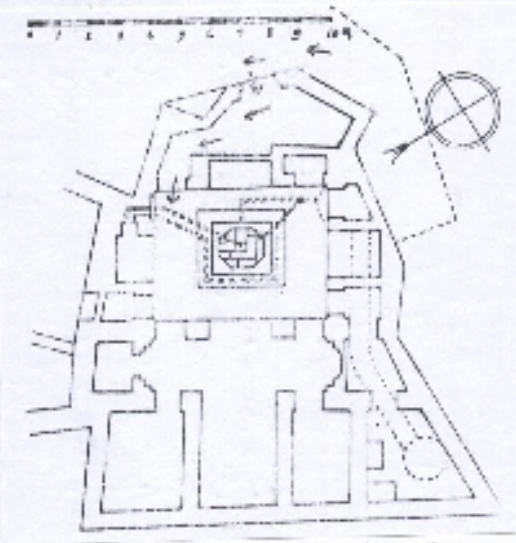

(شكل ١٤) مسقط أفقي لأحد الدور بالقسطاط . عن : علي بهجت في حفريات القسطاط .

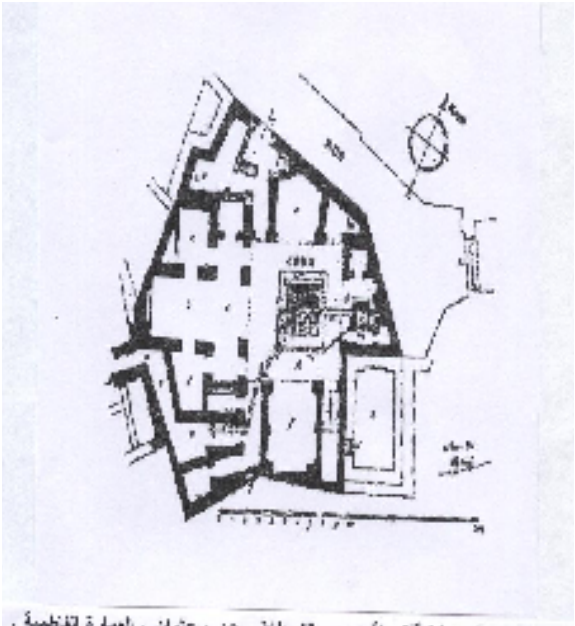

(شكل ١٥) مسقط أفقي لأحد دور القسطل . عن : عثمان ، العمارة النظامية .

(لوحة ١) منظر عام للحفريات الآثارية في موقع الربذة . عن،سلسلة آثار المملكة العربية السعودية (المدينة المنورة) .

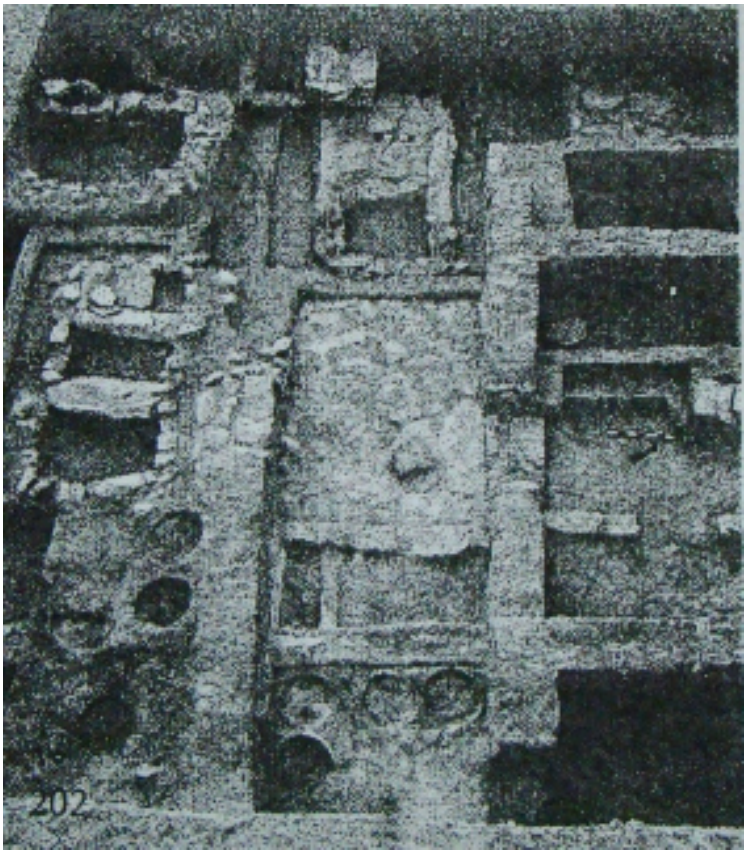

(لوحة ٢) صهاريج وافران أحد الدور السكنية بمنطقة الربذة . عن ، الراشد ، الربذة .

(لوحة ٣ أ) بقايا آثارية بمنطقة حائل . عن ، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية (منطقة حائل)

(لوحة ٣ب) بقايا آثارية بمنطقة حائل . عن ، الأنصاري ، حائل ديرة حاتم .

(لوحة ٣ج) بقايا آثارية بمنطقة حائل . عن ، الأنصاري ، حائل ديرة حاتم .

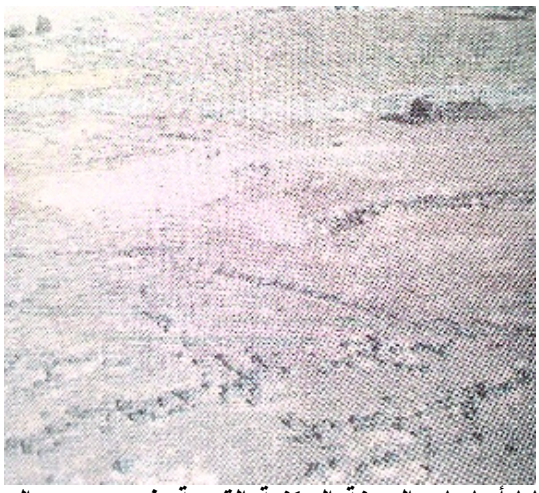

(لوحة٤) بقايا أساسات المدينة السكنية القديمة بفيد . عن ، الحواس ، فيد.

(لوحة٥) بقايا آثار منطقة فيد السكنية . عن ، أطلال ، العدد الرابع .

(لوحة٦) بقايا آثارية لأحد الدور السكنية بفيد . عن ، الحواس ، فيد .

(لوحة٧) بقايا آثارية لأحد الدور السكنية بفيد . عن ، الحواس ، فيد .

(لوحة٨) نماذج من خزانات المياه في بيوت الربذة . عن ، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية (المدينة المنورة).

(لوحة ٩) منظر عام لأطلال مدينة الفسطاط بمصر .

(لوحة ١٠) منظر عام لأحد الدور السكنية من العصر العباسي بالفسطاط .

(لوحة ١١) نموذج للفوارة التي تقع بمنتصف صحن أحد دور الفسطاط .

(لوحة ١٢) نموذج لخزانات الصرف الصحي لأحد دور مدينة الفسطاط .